طـٰـهٰ ويـس

بين العَلَميّة والحَرفيّة

د. عبد الله بن حمد بن عبد الله الدايل

كان مما يشغلني طويلاً استعمال «طـٰهٰ» و«يـسٓ» علمين لكثير من الناس؛ لأن الـذي يغلب على ظنّي أنهما من الحروف المقطّعة التي يبتـدأ بها في كثير من سـور القرآن الكـريم نحـو «الٓمٓ، والٓـمٓصٓ، والٓـر، وطسٓ، وحمٓ»، وغيرها.

وبدا لي أن ناسًا كثيرين سُمُّوا بـ«طـٰهٰ»، أو «يـسٓ» ليس في وقتنا هذا فحسب، بل في عصـور مضت. وبرجـوعي إلى كتب التراجم، وجـدت أن صاحب «فوات الوفيات» ينبّه على أحد الأعلام ممن سُمُّوا بـ«طـٰهٰ» وهو أقدم من سُمّي بـ«طـٰهٰ» من الأعلام ـ فيما أعلم وهو:

«طـٰهٰ» بن إبراهيم بن أبي بكر الشيخ جمال الدين أبو محمد الإرْبليّ الفقيه الشافعي؛ ولد بإربل سنة بضع وتسعين وخمسمائة، وقـدم مصر شـابـا، وسمع محمـد بن عمارة وغيره، وحمل الناس عنه، وله شعر وروى عند الـدمياطي والدوادري وغيرهم، وتوفي سنة تسع وسبعين وستمائة، وقد جاوز الثمانين رحمه الله..»(١)

أي أنه من رجال القرن السـابع الهجري.

ونبَّه ابن حجـر العسقلاني في الدرر الكامنـة على «طـٰهٰ الحلبيّ المقرئ النحـويّ.. وكان عنده كياسة ومكـارم ويلقب علم الدين.. ومات في سنة (٧٢٥)(٢) فهو من رجال القرن الثامن الهجري. أما خير الدين الزركلي فقـد ذكر سبعة ممن سُمُّوا بـ(طـٰهٰ)، وجميعهم من المتأخرين زمنًا عن ذينك الرجلين وهم طـٰهٰ السّنوي وهو قـاضٍ شرعي عراقي، تـوفّي سنة

(١٣٠٠هـ)[٣]، وطـٰه أحد وهو أديب مصريّ، توفي سنة (١٣٥٤هـ)[٤]، والأديب المعروف طـٰه حسين المتوفى سنة (١٣٩٣هـ)[٥] وطـٰه الهاشمي وهو عراقي توفي سنة (١٣٨٠هـ)[٦]، وطـٰه حسين الراوي وهو أديب وباحث عراقي، توفي سنة (١٣٦٥هـ)[٧]، وطـٰه سرور، وهو باحث مصريّ، توفي سنة (١٣٨٢هـ)[٨]، وطـٰه بن مهنًّا الحلبي توفي سنة (١١٧٨هـ)[٩] فهؤلاء أعلام بارزون سُمّي كلٌ واحدٍ منهم بـ «طـٰه».

وأشار صاحب معجم المؤلفين إلى كثير من الأشخاص الذين سُمُّوا بـ «طـٰه»[١٠]؛ بيد أنهم جميعًا من المتأخرين أيضًا.

وليس الغرض هنا حصر من سُمُّوا بـ «طـٰه» بل الغرض التأكيد بأن «طـٰه» علمًا كان معروفًا في الماضي والحاضر: لذلك اكتفيت بذكر بعض من سُمُّوا بـ «طـٰه»، وتتبعت ذلك عبر العصور، فوجدت أنَّ أقدم من سُمّي بـ «طـٰه» من الأعلام عاش في القرن السابع الهجري، وهو طـٰه بن إبراهيم الفقيه الشافعي، ثم ظلت التسمية بـ «طـٰه» مستمرة إلى وقتنا هذا.

أما من سموا بـ «يسٓ» فهم كثير في الماضي والحاضر، فمنهم من عاش في عصر متقدِّم جدًا وهو كما يذكر ابن حجر في تهذيب التهذيب: ياسين بن شيسان أو ابن سنان – ولم ينبِّه ابن حجر على السنة التي مات فيها؛ ولكن يفهم من حديثه عنه أنه معاصر لـ «سفيان الثوري» الذي ولد عام (٩٧هـ)، وتوفي عام (١٦١هـ) كما في كتاب الأعلام[١١].

لذا فالراجح أن «ياسين» هذا قد عاش في النصف الأول من القرن الثاني الهجري. وهو من رواة الحديث.

قال ابن حجر العسقلاني في «من اسمه ياسين»[١٢] ما نصه: «ياسين بن شيسان، ويقال ابن سنان العجلي الكوفي، عن إبراهيم بن محمد بن الحنفية عن أبيه عن علي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: المهدي منا أهل البيت يصلحه الله تعالى في ليلة. . . . قلت (أي ابن حجر): وقال يحيى بن يمان: رأيت سفيان الثوري يسأل ياسين عن هذا الحديث. قال ابن عدي: «وهو معروف به» انتهى»[١٣].

وذكر ابن حجر العسقلاني محدثًا آخر اسمه «ياسين» عاش في النصف الأول من القرن الثالث الهجري وهو «ياسين بن عبد الأحد بن أبي زرارة الليث بن عاصم بن كليب القتباني أبو اليمن المصري. . قال النسائي: لا بأس به، وقال ابن خزيمة كان ملكا من الملوك. . وقال ابن يونس: صدوق في الحديث. . مات سنة تسع وستين ومائتين في رمضان. .»[١٤]

انتهى.

ومن عـاش في النصف الأول من القرن الثـالث الهجري تقـريبًا «يـاسين الهروي الحداد» غير أن كتب التراجم تنبه على حفيده، إذ أورد الذهبـي في «سير أعلام النبلاء» اسم حفيده وهـو «ابن ياسين الشيخ الحافظ المحدث المؤرخ، أبو إسحـاق، أحمد بن محمد بن يـاسين الهروي الحدَّاد، صـاحب تاريخ هـراة. . . وليس بعمدة. قـال الخليلي: ليس بالقـويّ. . قلت (أي الـــذهبي): تـــوفي ابن يـــاسين الحداد في ذي القعـــدة سنـــة أربـــع وثـــلاثين وثلاثمائة»[١٥]. أي أنه عاش في القـرن الرابع الهجري فيكون جدُّه «يـاسين» هذا عاش قبل ذلك بمائة سنة تقريبًا.

يتبين مما سبق أن التسميـة بـ «يـاسين» كانت قـديمة ترجع إلى النصـف الأول من القرن الثاني الهجري وهي أقدم من التسمية بـــ «طـٰه» كما في كتب التراجم. ومن يـدري؟ فلعلَّها تعود إلى أقدم من ذلك التـاريخ، لكن كانت لرجال غير مشهـورين فلم تتعرض لهم كتب التراجم.

وبعض من سُمِّي بـــ «ياسين» عـاش في النصف الأول من القرن السـادس الهجري؛ إذ قـال الذهبي في تـرجمة حفيد هـذا الـرجل: «ابن ياسين الشيخ المسنـدِ الأمين الحجّاج أبـو منصور سعيـد بن محمد بن ياسين بن عبـد الملك بن مفرّج البغدادي البزَّاز السَّفَّـار. . قال ابن أنجب في تـاريخه: حجَّ تسعًا وأربعين حجة. قلـت (أي الذهبي): أسقطت شهـادته لسوء طـريقته وظلمه. تـوفي في خامس صفر سنـة أربع وثلاثين وستمائة»[١٦] فيكون جدُّه «ياسين» هذا قد عاش قبل ذلك التاريخ بحوالي مائة سنة.

ومنهم من عاش في قرون متأخرة وهم كثيرون:

فممن عاش في بداية القرن العاشر الهجـري: «الشيخ الإمام العلامة يسّ الشافعي شيخ المدرسة البيبرسيـة. . .»[١٧] ذكـر ذلك ابن العماد الحنبلي في شـذرات الـذهب وهو يتحـدَّث عن أخبار من ذهب في «سنة تسع وتسعمائة»[١٨].

ومن عـاش في القـرن الحادي عشر الهجـري «يـاسين العليمي الحمصي شيخ عصره في علوم العربية، وصاحب الحواشي المشهورة في النحو»[١٩] المتوفى سنة (١٠٦١هـ)[٢٠].

وبعضهم عاش في القرن الثاني عشر الهجري وهو يـاسين الطباطبائي، شاعر عراقي من أهل البصرة، توفي سنة (١١٧٠هـ)[٢١].

وبعضهم عـاش في القـرن الثـالث عشر الهجـري ومنهم يـاسين الخطيب، مـؤرخ من

فضلاء الموصل، توفي بعد سنة (١٢٣٢هـ)[٢٢] وغيرهم.

يتبين مما سبق أن استعمال كل من «طـه» و «يس» علمًا معروفًا في القديم والحديث. ولكن هل هما علمان في أصل الوضع؟ بمعنى آخر هل يمكن القول بأن «طـه» و«يس» علمان كسائر الأعلام المرتجلة؟ أم هما من الحروف المقطعة التي تتصدر بها بعض سور القرآن الكريم، ثم تُوسِّع في استعمالها فصار كل منها علمًا على بعض الناس؟ وهل لهما معانٍ أخرى محتملة غير ذينك المعنيين؟ تساؤلات كثيرة تثار حول «طـه»، و«يس». والإجابة على مثل هذه التساؤلات تقتضي من الباحث النظر في أقوال المفسرين، وهم بصدد تفسيرهم لهاتين السورتين، باعتبار أن تسمية بعض الأعلام بـ «طـه» و«يس» إنما استفيدت من هاتين السورتين؛ لأن «طـه»، و«يس» علمان على هاتين السورتين، ومما يؤكد ذلك أنَّ سيبويه يرى أن «طـه»، و«يس» ونحوهما من الحروف التي تفتتح بها سورة القرآن الكريم هي أسماء للسور. وقد عقد سيبويه لذلك بابًا أسماه «هـذا باب أسماء السور»[٢٣]. نبَّه فيه على قراءة النصب في «يس» وهي قراءة عيسى بن عمر[٢٤]: «يسين والقُرآنِ الحكيم» (سورة (٣٦) «يس»، آية ١، ٢). وجعل النصب من جهتين: إحداهما أن يكون مفعولاً لا ينصرف؛ لأنه عنده اسم أعجمي بمنزلة هابيل، والتقدير: اذكر ياسينَ، وهو عنده اسم للسورة؛ قال سيبويه في «هذا باب أسماء السور» ما نصه: «... وأما «حَـمَ» فلا ينصرف جعلته اسمًا للسورة، أو أضفته إليه؛ لأنهم أنزلوه بمنزلة اسم أعجمي نحو هابيل وقابيل.. وكذلك طاسينُ وياسينُ. واعلم أنه لا يجيء في كلامهم على بناء حاميمَ وياسينَ، وإن أردت في هذا الحكاية تركته وقفًا على حاله، وقد قرأ بعضهم ياسينَ والقُرآنِ، وقافَ والقرآنِ. فمن قال هذا فكأنه جعله اسمًا أعجميًا، ثم قال: اذكر ياسين[٢٥].

والقول الآخر أنَّ النصب في «ياسين» بناءٌ على الفتح مثل «كيفَ» و«أينَ» قال سيبويه متممًا قوله السابق: «ويجوز أيضًا أن يكون ياسين وصادُ اسمين غير متمكنين فيلزمان الفتح، كما ألزمت الأسماء غير المتمكنة الحركات نحو كيف وأين وحيثُ وأمسِ[٢٦] وسيبويه هنا وإن كان يهتم بالحركة التي في آخر «يس» وهي الفتحة على قراءة النصب فإنه يؤكد علميَّة «يس» باعتباره اسمًا للسورة.

وما قاله سيبويه في «يس» يشمل «طـه» بطبيعة الحال - وإن لم يصرِّح سيبويه بـ «طـه» فكلاهما اسم للسورة، ولننظر الآن في أقوال المفسِّرين وهم يفسِّرون سورتي «طـه»، و«يس»؛ علنا نخرج بشيء جديد يمكن أن يستنتج من تفسيراتهم لـ «طـه»، و«يس» علمًا

بأننا لن نتطرق إلى اختلاف القراءات والأعاريب المتعلقة بـ «طـهٰ»، و«يس»؛ لأنّ ذلك يخرج عن حدود هذه الدراسة.

أولاً: «طه»:

أشار الأخفش الأوسط (سعيد بن مسعدة) إلى معنيين في «طـهٰ»؛ الأول أنه هجاء، والثاني أنه بمعنى يا رجل؛ إذ قال في أثناء تفسيره للسورة: «ومن سورة (طـهٰ) قال: (طـهٰ) منهم من يزعم أنها حرفان مثل (حمٓ)، ومنهم من يقول (طـهٰ) يعني يا رجل في بعض لغات العرب»[٢٧] ونلحظ أن الأخفش لم يرجّح أحد هذين المعنيين على الآخر.

ويرى الفرّاء أن «طـهٰ» في قوله تعالى ﴿طـهٰ ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى﴾ حرف هجاء؛ إذ قال في معرض تبيانه لمعاني هذه السورة:

«قوله (طـهٰ) حرف هجاء»[٢٨].

وذكر معنيين آخرين في «طـهٰ» الأول أنه بمعنى يا رجل، أو يا إنسان، يقول: «وقد جاء في التفسير (طـهٰ): يا رجل، يا إنسان»[٢٩].

والثاني: أنه أمر.

إذ قال الفرّاء: «حدثنا أبو العباس، قال حدثنا محمد قال: حدَّثنا.. عن زر ابن حبيش قال: قرأ رجل على ابن مسعود: طـهٰ بالفتح (يعني عدم الإمالة) قال: فقال له عبد الله: طِهِ بالكسر (يعني بالإمالة) قال: فقال له الرجل: يا أبا عبد الرحمن أليس إنما أمر أن يطأ قدمه. قال: فقال له: طِهِ (أي بإمالتها). هكذا أقرأني رسول الله ﷺ»[٣٠].

ويفهم من هذا النص أنّ «طـهٰ» بالإمالة وعدمها يوحي بمعنى الأمر؛ لكن ابن مسعود سمعه من الرسول صلى الله عليه وسلم بالإمالة.

وما أشار إليه الفرّاء من احتمال تفسير «طـهٰ» بأنه أمر وفقًا لقصة الرجل مع ابن مسعود السابقة جعل بعض المفسّرين يثير هذا المعنى ويلتمس له وجهًا. ومنهم الزمخشري؛ إذ يقول بعد حديثه عن تفخيم الطاء في «طـهٰ» وإمالة الهاء:

«وفسّر بأنه أمر بالوطء، وأنّ النبي ﷺ كان يقوم في تهجده على إحدى رجليه فأُمر بأن يطأ الأرض بقدميه معًا»[٣١].

ثم علّق على ذلك بأن الأصل في «طـهٰ» (طَأْ) فقلبت همزته هاء، أو قلبت الهمزة ألفًا في يَطَأ ثم صيغ عليه الأمر، وزيدت الهاء للسكت؛ يقول مبينًا الأصل في (طـهٰ): «وأن

الأصل طأ فقلبت همزته هـاء، أو قلبت ألفًا في يطأ فيمن قال: لا هنـاك المرتع ثم بني عليه الأمـــر والهاء للسكـت ويجوز أن يكتفي بشطـــري الاسمين وهما الـــدالان بلفظهما على المسمين»[٣٢].

ولم يرتض أبـو السعود قـول من يقول إنَّ الأصل «طاهـا» بصيغة الأمـر من الوطء وذلك بسبب كتابتها على صورة الحرف، إذ لو كـان فعل أمر، لما كتب على صورة حروف المعجم. يقول: «وقد جُوِّز أن يكون الأصل (طاها) بصيغة الأمر من الوطء، فقلبت الهمزة من يطأ ألفًا لانفتـاح ما قبلها كما في قـول من قال: لا هنـاك المرتع، و(ها) ضمير الأرض.. ولكن يأباه كتابتها على صورة الحرف كما تأبى التفسير بيا رجل – فإنّ الكتابة على صور الحرف مع كون التلفظ بخلافه من خصائص حروف المعجم»[٣٣] انتهى كلامه.

ومعنى ذلك أنَّ «طـهٰ» لو كان فعل أمر لم تسقط منه الألفـان. ورسم المصحف وإن كان لا يقاس فإن الأصل فيه موافقته للقيـاس؛ لذلك فلا مسوِّغ لجعل «طـهٰ» فعل أمر؛ لأن في حذف الألفين منه لبسًا فـلا يجوز. ويمكن الاعتراض بهذا أيضًـا على تفسير «طـهٰ» بيارجل، ونحو ذلك. مما يؤكد أن «طـهٰ» من الحروف المقطعة مما يفتح به بعض السور.

وقد أورد ابن جرير الطبري أربعة أقـوال في تفسير «طـهٰ» في قوله تعالى: ﴿طـهٰ ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى﴾ (سورة (٢٠) طـهٰ، آية ١، ٢).

الأول: أنه بمعنى يا رجل كما سبق.

قال ابن جـرير الطبري في تفسيره لقولـه تعالى: ﴿طـهٰ مـا أنزلنـا عليك القرآن لتشقى﴾ (سـورة (٢٠) طـهٰ، آيـة ١، ٢) «اختلف أهل التأويل في تأويل قـولـه: (طـهٰ) فقـال بعضهم: معناه يا رجل»[٣٤] و(طـهٰ) بهذا المعنى في أصله خـلاف بين العلماء؛ فمن قائل: إن «طـهٰ» كلمة نبطية، ومن قائل: إنها كلمة سريانية. وهي في كلتا اللغتين بمعنى يا رجل أو يا إنسان، والقول بأنها نبطية عزاه ابن جـرير الطبري مرة إلى ابن عباس بإسناد، ومرة إلى عكرمة بإسناد آخر؛ يقول ابن جرير الطبري.

«حدثنا ابن حميد، قال: ثنا..... عن ابن عباس: طـهٰ: بالنبطية: يا رجل»[٣٥]، وقـال بعـد ذلـك بقليل: «.. عن عكـرمـة في قـولـه: (طـهٰ) قـال: يـا رجل، كلمـة بالنبطية»[٣٦].

وعزا إليه بإسناد آخر أنه بالنبطية: يا إنسان[٣٧].

أما من قال: إنها كلمة سريانية فهو سعيد بن جبير؛ إذ يقول ابن جرير الطبري:

«حدّثنا القاسم، قال.. عن سعيد بن جبير أنه قال: طـٰهٰ: يا رجل بالسريانية»[٣٧].

أما القول الثاني الذي ذكره ابن جرير في «طـٰهٰ» فهو أنه اسم من أسماء الله، وقسم أقسم الله به. قال ابن جرير الطبري: «وقال آخرون هو (يعني: طـٰهٰ) اسم من أسماء الله، وقسم أقسم الله به»[٣٩].

وأما القول الثالث فهو أنه حروف هجاء، ولم ينسبه إلى أحد بعينه.

قال ابن جرير الطبري: «وقال آخرون: هو حروف هجاء»[٤٠] وهذا المعنى قد صرّح به الأخفش الأوسط[٤١].

وشبيه بالقول الثالث القول الرابع وهو ما عبّر عنه ابن جرير الطبري بقوله: «وقال آخرون: هو حروف مقطعة يدلُّ كلُّ حرف منها على معنى»[٤٢].

ورجّح ابن جرير الطبري القول الأول وهو أنه بمعنى يا رجل معتلاً بأن قبيلة «عكّ» تستعمل هذه الكلمة وتعني بها: يا رجل. وهذا أمر معروف عندهم.

يقول: «والذي هو أولى بالصواب عندي من الأقوال فيه: قول من قال: معناه يا رجل؛ لأنها كلمة معروفة في «عك» فيما بلغني، وأنّ معناها فيهم: يا رجل[٤٣] وأكد ذلك بشاهدين الأول نسبه لمتمم بن نويرة وهو قوله:

هَتَفْتُ بِطَهٰ فِي القِتَالِ فَلَمْ يُجِبْ   فَخِفْتُ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ مُوَائِلاَ[٤٤]

والثاني لم ينسبه لأحد وهو قوله:

إِنَّ السَّفَاهَةَ طَهٰ مِنْ خَلاَئِقِكُمْ   لاَ بَارَكَ الله فِي القَوْمِ المَلاَعِينِ[٤٥]

ونلحظ أنّ دلالة «طـٰهٰ» على معنى «يا رجل» في هذين البيتين مستفادة من السياق.

فيكون تأويل الكلام عند ابن جرير الطبري ما نصّ عليه من قوله:

«يا رجل ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى، ما أنـزلناه عليك فنكلِّفك ما لا طاقة لك به من العمل، وذُكر أنه قيل له ذلك بسبب ما كان يلقى من النصب، والعناء والسهر في قيام الليل»[٤٦].

ومما يضعف هذا القول أن «طـٰهٰ» بمعنى يا رجل في لسان العجم كما هو مشهور، أمّا في اللغة العربية فلا يمكن الجزم بأنّ «طـٰهٰ» بمعنى يا رجل. إلاّ إذا اعتبرنا أن هذا المعنى في لغة العرب عامة موافق لما في اللغات الأعجمية السالفة الذكر، أو هو محمول عليها.

يتبيَّن من الأقوال التي أوردها ابن جرير الطبري أنَّ «طـٰهٰ» إمّا معرفة؛ لأنه منادى نكرة مقصودة، والنكرة المقصودة تتعرف بالنداء، فإذا قلنا: «يا رجلُ قُمْ» صار النداء في هذا

التركيب لمعيّن ـ وإما علم؛ لأنه اسم من أسماء الله سبحانه وتعالى، وقسم أقسم الله به، وإما عبارة عن حروف هجاء، أو حروف مقطعة هي بمثابة فواتح للسور.

وقد أشار القرطبي في الجامع لأحكام القرآن إلى معان أخرى في «طـٰهٰ» لم أجدها عند من سبقوه وهي:

١ - أنه من الأسرار ونسبه إلى الصّديق نقلاً عن الغزنوي؛ يقول القرطبي: «قوله تعالى: (طـٰهٰ) اختلف العلماء في معناه؛ فقال الصّدّيق رضي الله تعالى عنه: هو من الأسرار، ذكره الغزنوي»[47].

ولعلّ الصدّيق رضي الله عنه يعني أنّ «طـٰهٰ» من فواتح السور التي تحمل أسرارًا لا يعلمها إلاّ الله.

٢ - أنه بمعنى يا حبيبي بلغة عَكّ. وهو كما يذكر الغزنوي قول عبد الله بن عمرو ويعزوه قطرب إلى لغة طيّئ، قال أبو عبد الله القرطبي:

«وقال عبد الله بن عمرو: يا حبيبي بلغة عَكّ؛ ذكره الغزنوي. وقال قطرب: هو بلغة طيّئ»[48].

وهذا الوجه في رأيي شبيه بمعنى يا رجل أو يا إنسان من حيث إنه منادى معرفة.

٣ - أنه اسم للنبي ﷺ بمنزلة محمد، ولم ينسبه إلى أحد بعينه؛ يقول أبو عبد الله القرطبي: «وقيل: هو اسم للنبي ﷺ سمّاه الله تعالى به كما سماه محمدًا. وروي عن النبي ﷺ أنه قال: (لي عند ربي عشرة أسماء)[49] فذكر أن منها طـٰهٰ ويسٓ»[50].

٤ - أنه اسم للسورة ولم ينسبه إلى أحد معيّن؛ يقول القرطبي: «وقيل: هو اسم للسورة، ومفتاح لها»[51].

وقد مرّ بنا هذا الوجه عند سيبويه باعتبار أنّ سيبويه يرى أنّ الفواتح أسماء للسور[52]. أي أعلام عليها تدل على ما تدل عليه الأسماء من أعيان الأشياء.

٥ ـ أنه اختصار من كلام الله خص الله تعالى رسوله بعلمه، ولم ينسبه إلى أحد بعينه، يقول:

«وقيل: إنه اختصار من كلام الله خصّ الله تعالى رسوله بعلمه»[53].

٦ - أنّ معنى «طـٰهٰ» طُوبى لمن اهتدى؛ ونسبه القرطبي إلى مجاهد، ومحمد ابن الحنفية[54].

ومما هو جدير بالإشارة إليه أنّ أبا عبد الله القرطبي قد أفاد من المفسّرين الذين سبقوه

كالفراء، وابن جرير الطبري، والزمخشري فذكر ما ذكروه من معاني «طه» وهذه المعاني هي:

١ - أنه بمعنى يا رجل[٥٥].

٢ - أنه اسم من أسماء الله تعالى، وقسم أقسم به. وذكر أنَّ هذا المعنى مرويّ عن ابن عباس[٥٦].

٣ - أنه حروف مقطَّعة يدلّ كل حرف منها على معنى[٥٧].

٤ - أنَّ معناه: طَأِ الأرض[٥٨] يا محمد وذلك من أجل التخفيف عليه في مشقة الصلاة.

غير أنه في المعنى الأول وهو: «أنه بمعنى يا رجل» يشير إلى قبيلتين أخريين تستعملان «طه» في معنى يا رجل وهما عُكْل وطيّئ إلى جانب «عَكّ» يقول في أثناء حديثه عن هذا المعنى:

«.. ابن عباس: معناه يا رجل؛ ذكره البيهقي. وقيل: إنها لغة معروفة في عُكْل، وقيل: في عَكّ... والصحيح أنها وإن وجدت في لغة أخرى فإنها من لغة العرب.. وأنها لغة يمنية في عَكّ وطيّئ، وعُكْل أيضًا»[٥٩].

وذكر ما ذكره ابن جرير الطبري من احتمال كونها بمعنى يا رجل بالسريانية، أو النبطيّة، وعزا إلى عكرمة أيضًا أنها بمعنى يا رجل بلسان الحبشة[٦٠].

ولم يجزم الزمخشري بصحة كون «طه» في لغة «عَكّ» في معنى يا رجل؛ يقول:

«والله أعلم بصحة ما يقال: إن طاها في لغة «عَكّ» في معنى يا رجل»[٦١].

ورغم ذلك التمس لهذه القبيلة سببًا في جعلها «طه» بمعنى يا رجل يقول: «ولعل «عَكّ» تصرَّفوا في (يا هذا) كأنهم في لغتهم قالبون الياء طاءً فقالوا في «يا» طا، واختصروا هذا فاقتصروا على (ها)»[٦٢].

وهذا الذي ذكره الزمخشري متكلِّف، وبعيد جدًا عن واقع اللغة. ولم يرتض أبو حيان هذا الوجه محتجًا بأنَّ قلب (الياء) طاءً، واختصار اسم الإشارة «هذا» إلى «ها» كذلك، لم يرد في كلام العرب، فقال في ردّه على الزمخشري:

«وكان قد قدَّم أنه يقال: إنَّ «طاها» في لغة «عَكّ» في معنى يا رجل، ثم تخرَّص، وحزر على «عَكّ» بما لا يقوله نحوي وهو أنهم قلبوا الياء طاء، وهذا لا يوجد في لسان العرب قلب يا «التي للنداء «طاء» وكذلك حذف اسم الإشارة في النداء، وإقرار «ها» التي

للتنبيه»[٦٣].

ثم لو كان الأمر وفق ما يقول الـزمخشري، لوجب أن تكتب «طـٰهٰ» بأربعة أحرف هكذا: طاها.

والظاهر عنـد أبي حيّان أنَّ «طـٰهٰ» من الحروف المقطَّعة، يقول في أثنـاء حديثه عن تفسير «طـٰهٰ»:

«... والظاهر أن «طـٰهٰ» من الحروف المقطعة نحو «يسٓ»، و«الٓرٓ» وما أشبهها»[٦٤].

ومعنى ذلك أنَّ «طـٰهٰ» من الفـواتح التي تُسْتَأنف بها السور الكريمة. وهـو الذي أميل إليه، وقد رجَّح ذلك غيرُ أبي حيَّان كأبي السعود الذي أكد أن هذا القول هو قول الجمهور.

يقـول بعدمـا تحدَّث عن التفخيم في والإمالـة «طـٰهٰ»: «وهـو (يعني طـٰهٰ) من الفـواتح التي يصدَّر بها السور الكريمة وعليه جمهور المتقنين»[٦٥].

وقال في موضع آخر: «فالحق ما سلف من أنها من الفواتح»[٦٦].

ونسب الزَّجَّاج هذا القول إلى أهل اللغة؛ إذ قال بعد أن ذكر ما في «طـٰهٰ» من قراءات: «واختلف في تفسيرهـا (يعني طـٰهٰ) فقـال أهل اللغـة: هي من فـواتح السور نحـو حٓمٓ والٓمٓ»[٦٧].

ثانياً: «يسٓ»:

ذكر الأخفش في «يسٓ» معنـى واحدًا ليس غير، وهو أنـه بمعنى يا إنسـان، ونبَّه على أنَّ المعنى به هو النبيُّ ﷺ.

يقول الأخفش: «ومن سـورة يسٓ قال: (يسٓ) يقال: معنـاها يا إنسـان كأنه يعني النبي صلى الله عليه؛ فلذلك قال: ﴿إنك لمن المرسلين﴾ (سـورة (٣٦) يسٓ، آية ٣)؛ لأنه يعني النبي ﷺ»[٦٨].

وأشـار الفرّاء إلى معنيين في «يسٓ» الأول أنـه بمعنى يـا رجل، والثاني أنـه بمنـزلة حـرف الهجا وعزا الأول إلى الحسن بإسنـاد، أما الثاني فذكـر أنَّ هذا هو معناه في العـربية؛ يقول في معرض حديثه عن سورة «يسٓ»:

«قوله: «يسٓ» حدثنـا أبو العباس قال: حدثنا محمد قال: حدثنـا الفرّاء قال: حدثني شيخ من أهل الكوفة عن الحسن نفسـه قال: يسٓ: يا رجل. وهو في العربية بمنـزلة حرف الهجاء؛ كقولك: حٓمٓ وأشباهها»[٦٩].

أما ابن جرير الطبري فذكر في «يسٓ» أربعة أقوال[٧٠] تبين اختلاف المفسِّرين فيه:

الأول: أنه اسم من أسماء الله، وقسم أقسم الله به؛ يقول في معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿يسٓ والقرآن الحكيم﴾ (سورة ٣٦ يسٓ، آية ١، ٢): «اختلف أهل التأويل في تأويل قوله (يسٓ) فقال بعضهم: هو قسم أقسم الله به، وهو من أسماء الله. . .»[٧١].

فـ «يسٓ» على هذا القول علم باعتباره اسماً من أسماء الله أُقسم به.

والثاني: أنه بمعنى يا رجل؛ إذ قال ابن جرير الطبري: «وقال آخرون: معناه: يا رجل»[٧٢] وفي «ذكر من قال ذلك» أسند إلى ابن عباس أنَّ «يسٓ» معناها يا إنسان بالحبشية. يقول: «. . . عن ابن عباس في قوله (يسٓ). قال: يا إنسان بالحبشية»[٧٣] فـ «يسٓ» هنا معناه يا إنسان، أو يا رجل.

وهو على هذا المعنى معرفة؛ لأنه منادى نكرة مقصودة فتعرف بالنداء.

والثالث: أنه افتتاح كلام.

حيث يقول ابن جرير الطبري: «. . . وقال آخرون: هو مفتاح كلام افتتح الله به كلامه»[٧٤].

فـ «يسٓ» على هذا المعنى من الحروف المقطعة التي افتتح بها بعض السور للتنبيه على إعجاز القرآن بمنزلة «الٓمٓ»؛ فخرجت من العلمية.

أما القول الرابع الذي أورده ابن جرير الطبري في (يسٓ) فهو أنه اسم من أسماء القرآن. يقول: «. . . وقال آخرون: بل هو اسم من أسماء القرآن»[٧٥].

ومعنى ذلك أنَّ «يسٓ» على هذا القول علم؛ فعلميته كونه اسماً من أسماء القرآن.

وأسند الزمخشري إلى ابن عباس أنه بمعنى يا إنسان في لغة طيِّئ، ولم يجزم الزمخشري بصحته؛ يقول في معرض حديثه عن «يسٓ»:

«وعن ابن عباس رضي الله عنهما معناه: يا إنسان في لغة طيء. والله أعلم بصحته»[٧٦].

ثم أوضح أنه إن صح فإن أصله يا أُنَيْسِين، فلما كثر النداء به على ألسنتهم حذفوا بعضًا منه تخفيفًا فصار «يسٓ»؛ يقول متمِّماً قوله السابق:

«وإن صحَّ فوجهه أن يكون أصله يا أُنَيْسِين. فكثر النداء به على ألسنتهم حتى اقتصروا على شطره، كما قالوا في القسم مُ الله في أيمُن الله»[٧٧].

إذًا فـ «يس» على هذا الوجه نداء. ولا يهمنا إن كان بلغة الحبشة، أو طيِّئ أو كلب، أو كان باللغة السريانية؛ لأن العرب تكلَّمت به فصار من لغتهم[٧٨].

ويعلّق أبو حيّان على قول ابن عباس: «معناه يا إنسان بالحبشية وعنه هو في لغة طيئ» فيقول: «وذلك أنهم يقولون: إيسان بمعنى إنسان، ويجمعونه على أياسين. . .»[79].

ومما يضعف هذا القول أنّ أباحيان لم يدعّم كلامه بإثبات من كلام العرب من أنهم يقولون: إيسان بمعنى إنسان ويجمعونه على أياسين. وأشار أبو حيان إلى قول آخر في «يسٓ» فقال:

«وقالت فرقة: يا حرف نداء، والسين مقامة مقام إنسان انتزع منه حرف فأقيم مقامه»[80].

ويعترض أبو حيان على قول الزمخشري «أن يكون أصله يا أُنَيْسين» لأن أُنَيْسين» ليس قياس تصغير إنسان بل القياس في تصغيره «أُنَيْسِيَان»؛ يقول أبو حيان:

«والذي نُقل عن العرب في تصغيرهم إنْسَان «أُنَيْسِيَان» بياء بعدها ألف فدلّ على أنّ أصله «إنْسِيَان»، لأنّ التصغير يرد الأشياء إلى أصولها؛ ولا نعلمهم قالوا في تصغيره: «أُنَيْسِين» وعلى تقدير أنه بقية «أُنَيْسِين» فلا يجوز ذلك إلاّ أن يبنى على الضم ولا يبقى موقوفاً؛ لأنه منادى مقبل عليه. ومع ذلك فلا يجوز؛ لأنه تحقير، ويمتنع ذلك في حق النبوة، وقوله (يعني الزمخشري): كما قالوا في القسم: مُ الله في أيمن الله هذا قول، ومن النحويين من يقول: إنَّ «مُ» حرف قسم وليس مُبَقَّى من (أيمن)»[81] انتهى كلامه.

وقول أبي حيان: «فلا يجوز لأنه تحقير» فيه نظر عندي؛ لأن التصغير إنما يمتنع من البشر. وأما من الله فلا اعتراض عليه؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى له أن يطلق على نفسه، وعلى خلقه ما أراد، ويحمل ذلك على أغراض تليق بالله، ورسوله، وسائر خلقه كالتعظيم، ونحوه من أغراض التصغير؛ ذلك أن خطاب الله سبحانه لرسوله إنما يجري على طريقة العرب في كلامهم.

ومهما يكن من أمر فالباحث يرجّح أنَّ «طٰهٰ» و«يسٓ» كليهما - من الحروف المقطعة التي تفتتح بها بعض سور القرآن الكريم، بمنزلة «الٓمٓ» وغيرها من الحروف التي تحمل فيما تحمله الدلالة على إعجاز القرآن الكريم؛ يدلُّ على ذلك أنَّ كل سورة تبدأ بالحروف المقطعة يرد في أوائلها الذكر، أو الكتاب، أو القرآن وهذا أمر مطَّرد نلحظه في «طٰهٰ» و«يسٓ» وغيرهما.

وقد تتبعت سور القرآن الكريم المبدوءة بحروف التهجي فوجدت أنَّ بعض السور تفتتح بحرف واحد كسورة «نٓ»، و«قٓ»، و «صٓ»، وبعضها بحرفين كسورة «حمٓ»، و«يسٓ»، و «طسٓ»، و«طٰهٰ»، وبعضها بثلاثة أحرف كسورة «الٓمٓ»، و«طسٓمٓ»، و«الٓرٰ»

وبعضها بأربعة أحرف كسورتي آلَمَرَ»، و«آلَمَصَ» وبعضها بخمسة أحرف كسورتي «حَمَ عَسَقَ»، و«كهيعص».

وفي ذكر هـذه الحروف في أوائل السور أمور لا تخلو من الحكمـة، لكن علم الإنسان لا يصل إليها، والخوض في معاني هذه الحروف حرفًا حرفًا يخرج من حيز هذه الدراسة.

والذي جعـل بعض الناس يسمُّـون بـ «طـهٰ» و «يسٓ» ـ كما يبـدو ـ هـو وجود ضمير المخاطب بعدهما؛ قال تعالى: ﴿طهٰ ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى﴾ (سورة (٢٠) طهٰ، آية ١، ٢) وقـال عزَّ وجل: ﴿يسٓ والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين﴾ (سورة (٣٦) يسٓ آية ١، ٢، ٣) فكاف الخطـاب في كلتا الآيتين قد يُوهم بأنـه يرجع إلى «طهٰ» و «يسٓ» في صـدر السـورتين ممـا جعل بعض النـاس يتـوهم بأنَّ «طـهٰ» ويسٓ» اسمان علمان، وأنهما يرمزان للنبي محمد ﷺ، وأن الضمير يعود إليهما.

والصـواب أنَّ الضمير في كلتا الآيتين لا يـرجع إلى «طهٰ» و«يسٓ»؛ لأننـا لو اعتبرنـاه راجعًا إليهما لاعتبرنـاه راجعًا إلى نـون في قولـه تعالى: ﴿ن والقلم ومـا يسطرون مـا أنت بنعمـة ربك بمجنـون﴾ (سـورة (٦٨) القلم، آيـة ١، ٢) ولاعتبرنـا «نٓ» اسما يمكن أن يسمى به كـ «طـهٰ» و «يسٓ». ولم يقل بذلك أحد، وما قلنـاه في «نٓ» هنا يمكن أن يشمل «آلَمَصَ» في قولـه سبحانه آلَمَصَ كتاب أنزل إليك . . . الآيـة﴾ (سورة (٧) الأعراف، آية (١، ٢) و «طَسَمَ» في قوله سبحـانه: طَسَمَ تلك آيـات الكتاب المبين لعلك بـاخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين﴾ (سورة (٢٦) الشعراء، آية ١، ٢، ٣)، وغير ذلك. إذ لو كان «طـهٰ» و«يسٓ» علمين أصلاً لسمَّى النـاس بـ «نٓ»، و«طسَمَ»؛ وغيرهما مما يـؤكـد أن «طهٰ» و«يسٓ» من الحروف المقطعة التي تفتح بها بعض السور. والذي يغلب على ظنّي أنَّ «طهٰ» و «يسٓ» صارا علمين على بعض الأعلام، إما جريًا على قول بعض المفسِّرين الذين ذهبوا إلى أنهما علمان، تَوَهمًّا بعودة ضمير الخطاب بعدهما إليهما. مع أنَّ للضمير في القرآن الكريم سمات أسلـوبية لا نجدهـا في غير القرآن، ومما هو جـدير بالإشـارة إليه أن التراث العربي في العصر الجاهلي، وصدر الإسلام يخلو من «طهٰ» و «يسٓ» علمين.

• الهوامش •

(١) محمد بن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار صادر، (د.ت)، ٢/ ١٣٠، ١٣١. وانظر في ترجمته: جمال الدين عبد الرحيم الإسنوي، طبقات الشافعية، تحقيق عبد الله الجبوري، الرياض، دار العلوم للطباعة والنشر، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، ١/ ١٥٣، ١٥٤ وذكر أنَّ لقبه كمال الدين وأنه مات بمصر في جمادى الأولى سنة سبع وسبعين وستمائة. وحلا حذوه أبو الفدا الحافظ ابن كثير، البداية والنهاية، بيروت، دار الفكر، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م، ١٣/ ٢٨٢. وجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر، دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابي الحلبي وشركاه)، ط١، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م، ١/ ٤١٧. وأبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، بيروت، دار المسيرة، ط٢، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ٥/ ٣٥٧، ٣٥٨.

(٢) شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق محمد سيد جاد الحق، مصر، دار الكتب الحديثة، مطبعة المدني، ط٢. ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م، ٢/ ٣٢٨.

وانظر في ترجمته:

جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، المكتبة العصرية (د.ت)، ٢/ ٢١.

(٣) خير الدين الزركلي، الأعلام، بيروت، دار العلم للملايين، ط ٦، ١٩٨٤م، ٣/ ٢٣١.

(٤) المرجع السابق، ٣/ ٢٣١.

(٥) المرجع السابق، ٣/ ٢٣١.

(٦) الأعلام، ٣/ ٢٣٢.

(٧) المرجع السابق، ٣/ ٢٣٢.

(٨) المرجع السابق، ٣/ ٢٣٢.

(٩) المرجع السابق، ٣/ ٢٣٢.

(١٠) انظر: عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، بيروت، دار إحياء التراث العربي، بيروت، مكتبة المثنى، ودار إحياء التراث العربي، (د.ت)، ج ٥/ ٤٣، ٤٤، ٤٥.

(١١) انظر الزركلي، الأعلام، ٣/ ١٥٨.

(١٢) شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، الهند، حيدر آباد الدكن، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، ١٣٢٧هـ، ١١/ ١٧٢.

(١٣) المرجع السابق، ١١/ ١٧٣.

(١٤) ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ١١/ ١٧٣.

وانظر في ترجمته:

السيوطي، حسن المحاضرة، ١/ ٢٩٤. وفيه أنه «مات سنة تسع ومائتين» وهو خطأ، أو سقط كلمة في المخطوط.

(١٥) شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم الزيبق، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، ١٥/ ٣٣٩، ٣٤٠.

وانظر في ترجمته: الزركلي، الأعلام، ٨/ ١٢٨.

(١٦) شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢٣/ ٥.

(١٧) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ٨/ ٤٣.

(١٨) المرجع السابق، ٨/ ٣٩.

(١٩) الزركلي، الأعلام، ٨/ ١٣٠.

(٢٠) المرجع السابق، ٨/ ١٣٠.

(٢١) المرجع السابق، ٨/ ١٢٨، وانظر ٨/ ١٣٠.

(٢٢) المرجع السابق، ٨/ ١٢٩.

(٢٣) سيبويه، الكتاب، مصر، مطبعة بولاق، ط١ ١٣١٧هـ، ٢/ ٣٠، وانظر أبو سعيد السيرافي، شرح كتاب سيبويه (ميكروفيلم) بقسم المخطوطات بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية برقم ١٠٢٩٦/ ف، مصور عن دار الكتب المصرية برقم (١٣٧) نحو، ٤/ ق ١٠٩.

(٢٤) انظر: أبو جعفر النحاس، إعراب القرآن، تحقيق زهير غازي زاهد، مصر، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، ط٢، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ٣/ ٣٨١.

(٢٥) سيبويه، الكتاب (بولاق)، ٢/ ٣٠، والسيرافي، شرح سيبويه، ٤/ ق ١٠٩.

(٢٦) المرجع السابق (بولاق)، ٢/ ٣٠، والمرجع السابق، ٤/ ق ١١٠.

(٢٧) الأخفش (الأوسط)، أبو الحسن سعيد بن مسعدة، معاني القرآن، تحقيق عبد الأمير محمد أمين الورد، بيروت، عالم الكتب، ط ١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ٢/ ٦٢٨.

(٢٨) الفراء، معاني القرآن، بيروت، عالم الكتب ط ٣، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ٢/ ١٧٤.

(٢٩) المرجع السابق، ٢/ ١٧٤.

(٣٠) المرجع السابق، ٢/ ١٧٤. وتبنّى الزجاج على المعنيين الأول والأخير اللذين أوردهما الفراء.

قال الزجّاج: «واختلف في تفسيرها (أي في تفسير «طه») فقال أهل اللغة: هي من فواتح السور نحو حم، والم، ويروى أن النبي ﷺ كان إذا صلى رفع رجلاً، ووضع أخرى؛ فأنزل الله عز وجل: طاها أي طأ الأرض بقدميك جميعًا» أبو إسحاق الزجّاج، معاني القرآن وإعرابه المنسوب إليه، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي، بيروت، عالم الكتب، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ٣/ ٣٤٩.

(٣١) الزمخشري، الكشاف، الرياض، مكتبة المعارف، بيروت، دار المعرفة، (بلا تاريخ)، ٢/ ٤٢٦، وانظر: أبو حيان، البحر المحيط، بيروت، دار الفكر، ط ٢، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ٦/ ٢٢٤.

(٣٢) الزمخشري، الكشاف، ٢/ ٤٢٦. وحذا حذوه في هذا التفسير أبو حيان؛ إذ يقول: «وقيل «طا» فعل أمر، وأصله «طأ» خُفّفت الهمزة بإبدالها ألفًا، و«ها» مفعول وهو ضمير الأرض، أي طأ الأرض بقدميك، ولا تراوح؛ إذ كان يراوح حتى تورّمت قدماه».

أبو حيان، البحر المحيط، ٦/ ٢٢٤.

(٣٣) أبو السعود، تفسير أبي السعود، بيروت، دار إحياء التراث العربي (بلا تاريخ)، ٦/ ٢.

(٣٤) ابن جرير الطبري، تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، بيروت، دار الفكر، ١٩٨٨م، م ٩/ ج١٦، ص ١٣٥.

(٣٥) المرجع السابق، م٩/ ج١٦ ص ١٣٥.

(٣٦) المرجع السابق، م ٩/ ج ١٦ ص ١٣٦.

(٣٧) المرجع السابق، م ٩/ ج ١٦ ص ١٣٦.

(٣٨) المرجع السابق، م ٩/ ج ١٦ ص ١٣٦.

(٣٩) المرجع السابق، م ٩/ ج ١٦ ص ١٣٦.

(٤٠) ابن جرير الطبري، تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، م٩/ ج ١٦، ص ١٣٦.

(٤١) انظر ص ٩ من هذا البحث.

(٤٢) ابن جرير الطبري، تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، م٩/ ج ١٦، ص ١٣٦.

(٤٣) المرجع السابق، م ٩/ ج١٦، ص ١٣٦.

(٤٤) نسبه ابن جرير الطبري لمتمم بن نويرة، انظر: ابن جرير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، م٩، ج١٦، ص ١٣٧، والبيت بلا نسبة في (أبو عبد الله القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ٦ ج١١، ص ١١١، وفيه «دَعَوتُ» مكان «هَتَفْتُ» وفي «أبو حيان، البحر المحيط، بيروت، دار الفكر، ط ٢، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ٦/ ٢٢٤.

(٤٥) البيت بلا نسبة في جامع البيان عن تأويل أي القرآن، م٩، ج ١٦، ص ١٣٧. والزمخشري، الكشاف، الرياض، مكتبة المعارف، بيروت، دار المعرفة (بلا تاريخ)، ٢/ ٤٢٦. وهو في الكشاف برواية مختلفة وهي:
إنَّ السَّفَاهَةَ طَاهَا فِي خَلاَئِقِكُمْ لاَ قَدَّسَ اللهُ أَخْلاَقَ المَلاَعِينِ. والبيت نفسه في الفخر الرازي، تفسير الفخر الرازي «المشتهر بالتفسير الكبير»، بيروت، دار الفكر، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، ج ٢٢، ص ٣ وفيه «أرواح» مكان «أخلاق». وينسبه القرطبي ليزيد بن المهلهل وفيه «شمائلكم» بدلاً من «خلائقكم» انظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، م ٦/ ج ١١، ص ١١١.

(٤٦) ابن جرير الطبري، تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل أي القرآن)، م٩، ج ١٦، ص ١٣٧.

(٤٧) أبو عبد الله محمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٨٨م، ج ٦/ ج ١١ / ص١١١.

(٤٨) المرجع السابق، م٦ ج ١١/ ص ١١١.

(٤٩) هذا الحديث ساقه القرطبي بصيغة التمريض، وقد أورده أبو نعيم الأصبهاني المتوفى سنة (٤٣٠هـ) مرفوعًا إلى أبي الطفيل؛ إذ قال أبو نعيم في كتاب دلائل النبوة تحت (ذكر فضيلته ﷺ بأسمائه): « حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن ثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة قال: ثنا عبد الله بن عمرو بن أبان قال: ثنا إسماعيل بن إبراهيم التميمي ثنا سيف ابن وهب عن أبي الطفيل قال: قال رسول الله ﷺ: إن لي عند ربي عشرة أسماء قال أبو الطفيل: حفظت منها ثمانية: محمد وأحمد

وأبو القاسم، والفاتح، والخاتم، والعاقب، والحاشر، والماحي؛ قال أبو يحيى: وزعم سيف أنَّ أبا جعفر قال له: إن الاسمين الباقيين طهٰ و يسٓ». أبو نعيم الأصبهاني، دلائل النبوّة، بيروت، عالم الكتب (بلا تاريخ)، ١/ ١٢.

والحديث الصحيح المتفق عليه هو ما أورده البخاري في كتاب المناقب - تحت باب (ما جاء في أسماء رسول الله تعالى عليه وسلم) وهو: «حدثني إبراهيم بن المنذر قال: حدثني معنٌ عن مالك عن ابن شهاب عن محمد بن جُبير بن مطعم عن أبيه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لي خمسة أسماء أنا محمد، وأحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يُحشرُ الناس على قدمي، وأنا العاقب».

البخاري، صحيح البخاري، بيروت، عالم الكتب، إدارة الطباعة المنيرية، ط ٢، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، ج ٥، ص ٢٤، الحديث رقم ٣٩.

(٥٠) أبو عبد الله القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، م ٦/ ج ١١ ص ١١٢.

(٥١) المرجع السابق م٦ / ج١١ ص ١١٢.

(٥٢) انظر: الصفحة الرابعة من هذا البحث

(٥٣) أبو عبد الله القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، م ٦/ ج١١/ ص ١١٢.

(٥٤) المرجع السابق، م ٦/ ج ١١/ ص ١١٢.

(٥٥) انظر: المرجع السابق، م٦/ ج ١١/ ص ١١، ص ١١٢.

(٥٦) انظر: المرجع السابق، م ٦/ ج ١١/ ص ١١٢.

(٥٧) انظر: المرجع السابق، م٦/ ج ١١/ ص ١١٢، وذكر هذه المعاني لا طائل تحته،، ويبدو أنه اجتهاد من بعض المفسرين كقولهم: إن الطاء من «طهٰ» شجرة طُوبىٰ، والهاء النار الهاوية، انظر في هذه المعاني المرجع السابق ٦/ ١١/ ١١٢.

(٥٨) انظر أبو عبد الله القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، م٦/ ج ١١/ ص ١١٢.

(٥٩) المرجع السابق، م ٦/ ج ١١، ص ١١١، ص ١١٢.

(٦٠) المرجع السابق، م ٦/ ج ١١/ ص ١١٢.

(٦١) الزمخشري، الكشاف، ٢/ ٤٢٦.

(٦٢) المرجع السابق، ٢/ ٤٢٦.

(٦٣) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ٦/ ٢٢٤.

(٦٤) المرجع السابق، ٦/ ٢٢٤.

(٦٥) أبو السعود، تفسير أبي السعود، ٦/ ٣.

(٦٦) أبو السعود، تفسير أبي السعود، ٦/ ٣.

(٦٧) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه المنسوب إليه، ٣/ ٣٤٩.

(٦٨) الأخفش الأوسط، معاني القرآن، تحقيق عبد الأمير محمد أمين الورد، ٢/ ٦٦٦.

ونجد التفسير نفسه عند الفخر الرازي إذ قال: «قيل في خصوص (يسٓ) إنه كلام هو نداء معناه يا إنسان... وعلى هذا يحتمل أن يكون الخطاب مع محمد ﷺ ويدل عليه قوله تعالى بعده: (إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ)».

الفخر الرازي، تفسير الفخر الرازي (التفسير الكبير)، ٢٦/ ص ٤٠.

وأشار أبو عبد الله القرطبي إلى هذا المعنى ونسبه إلى سعيد بن جبير بقول القرطبي في أثناء حديثه عن معاني "يسٓ". "وقال سعيد بن جبير: هو اسم من أسماء محمد ﷺ، ودليله: إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ" (سورة (٣٦) يسٓ، آية ٣) وذكر أنهم "قالوا في قوله تعالى: "سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ" سورة (٣٧) الصافات، آية ١٣٠ أي على آل محمد" أبو عبد الله القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، م٨/ ج ١٥ ص ٥. ونبّه القرطبي على المعنى نفسه ولكن بصيغة أخرى؛ إذ قال وهو يتحدث عن معاني "يسٓ": "وقال أبو بكر الوراق: معناه يا سيِّد البشر" المرجع السابق، م ٨/ ج ١٥/ ص ٥. وسيد البشر هو النبي محمد ﷺ.

(٦٩) الفرّاء، معاني القرآن، ٢/ ٣٧١.

(٧٠) انظر ابن جرير الطبري، تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، م١٢/ ج ٢٢/ ص ١٤٨.

(٧١) ابن جرير الطبري، تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) م ١٢/ ج ٢٢/ ص ١٤٨.

وذكر أبو جعفر النحاس وهو يتحدث عن معاني "يسٓ" هذا المعنى أي أنه قسم وعزاه إلى عكرمة ولم يذكر أنه اسم من أسماء الله كما فعل ابن جرير الطبري. انظر أبو جعفر النحاس، معاني القرآن الكريم، تحقيق محمد علي الصابوني، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م، ٥/ ٤٧٢.

(٧٢) ابن جرير الطبري، تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) م ١٢ ج ٢٢/ ص ١٤٨.

(٧٣) ابن جرير الطبري، تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) م ١٢/ ج ٢٢/ ص ١٤٨.. وقال الزجّاج في معرض تفسيره لسورة "يسٓ": "جاء في التفسير (يسٓ) معناه: يا إنسان، وجاء يا رجل، وجاء يا محمد" أبو إسحاق الزجاج، معاني القرآن وإعرابه المنسوب إليه، ٤/ ٢٧٧.

وممن أشار إلى هذا المعنى وهو أنه بمعنى (يا إنسان) أبو جعفر النحاس، وعزاه إلى الحسن بإسناد، وإلى الضحاك. انظر أبو جعفر النحاس، معاني القرآن الكريم، تحقيق محمد علي الصابوني، ٥/ ٤٧١.

(٧٤) ابن جرير الطبري، تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) م ١٢/ ج ٢٢/ ص ١٤٨.

وانظر: أبو جعفر النحاس، معاني القرآن الكريم، تحقيق محمد علي الصابوني، ٥/ ٤٧١، ٤٧٢.

قال النحاس: "... عن الحسن "يسٓ" قال: افتتاح القرآن... وقال مجاهد: من فواتح كلام الله جل وعزّ. المرجع السابق، ٥/ ٤٧١، ٤٧٢.

(٧٥) ابن جرير الطبري، تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) م ١٢/ ج ٢٢/ ص ١٤٨.

ونسب أبو جعفر النحاس إلى قتادة أنه اسم للسورة، انظر أبو جعفر النحاس، معاني القرآن الكريم، ٥/ ٤٧٢.

(٧٦) الزمخشري، الكشاف، ٣/ ٢٧٩.

(٧٧) المرجع السابق، ٣/ ٢٧٩.

(٧٨) أشار إلى هذه اللغات في "يسٓ" أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، انظر الجامع لأحكام القرآن، م٨/ ج ١٥/ ص ٥.

(٧٩) أبو حيان، البحر المحيط، ٧/ ٣٢٣.

(٨٠) أبو حيان، البحر المحيط، ٧/ ٣٢٣.

(٨١) المرجع السابق، ٧/ ٣٢٣.